التنجيم

قال ابن خلدون هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قِبَل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولَّدات العنصرية منفردةً ومجتمعةً فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالَّةً على ما سيحدث من نوعٍ نوعٍ من انواع الكائنات الكلية والشخصية. قال فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو امرٌ تقصر الاعمار عن تحصيلهِ اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن وادوار الكواكب منها ما يحتاج تكرارهُ الى آمادٍ واحقاب متطاولة. . واما بطليموس ومن تبعهُ من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالةٌ طبيعية من قِبَل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيّرين واثرهما في العنصريات ظاهرٌ لا يسع احداً جحدهُ مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وامزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك. . ثم قال (اي بطليموس) ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاولى التقليد. . والثانية الحدس والتجربة بقياس كل واحد منها الى النيّر الاعظم الذي عرفنا طبيعتهُ واثرهُ معرفةً ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القران في قوّتهِ ومزاجهِ فتُعرَف موافقتهُ لهُ في الطبيعة او ينقص منها فتُعرَف مضادّتهُ ثم اذا عرفنا قواها مفردةً عرفناها مركبةً وذلك عند تناظرها باشكال التثليث والتربيع وغيرها. انتهى المقصود من هذا الفصل ملخصاً ومنهُ يتبين ان البناء في هذه الصناعة

على ادّعاء قوةٍ خاصةٍ في النجم من شأنها ان تؤثر في طبائع المولّدات العنصرية فتتخلق بها وتكون احوالها تابعةً لمقتضاها . وهذه القوّة على ما يؤخذ من كلامهم هي غير القُوَى المادّية المنبثّة في هذه الاجرام او الصادرة عنها وانما هي قوةٌ معنوية اوكما يقولون روحانية تشترك فيها الشمس والقمر وسائر الاجرام العُلوية ولذلك اذا اقترنت الشمس باحد السيارة زاد ذلك السيَّار في قوتها او نقص منها تبعاً لما تكون عليهِ طبيعتهُ من الموافقة لطبيعتها او المضادّة لها . ولا يخفى ان ذلك من الاقوال التي لا تُعقل صحتها ولا دليل عليها في الخارج بل الدليل الخارجي ينقضها جملةً لان ما بنوا عليهِ استدلالهم من تأثير الشمس في تبديل الفصول وانضاج الفواكه والزرع وما اشبه ذلك ليس في شيء من القوى التي يزعمونها وانما علّتهُ الحرارة المنبعثة من الشمس مع تفاوت المقدار الواصل منها الى الارض واختلاف وقع اشعتّها على ناحيةٍ ناحيةٍ منها كما هو معلومٌ بالبداهة ولذلك كانت تلك الفصول ومتعلقاتها تابعةً لحركة الشمس دون غيرها لان حركات السيّارة لا تطّرد مع الفصول ولا يثبت انها تغير شيئاً من احوالها . وقس على ذلك سائر الكائنات الارضية والجوّية من المدّ والجزر وهبوب الرياح وانتشار السحب واحوال المطر والصحو وغير ذلك مما يتواطأ عليهِ الشمس والقمر او ينفرد فيهِ احدهما بحسب ما تكون علّتهُ حرارة الشمس او ما فيها وفي القمر والارض من قوة التجاذب بحيث لو جرَّدنا الشمس والقمر من الخصائص التي يزعمونها لهما لم يتغير شيءٌ من تأثيرهما في الاحوال المذكورة

على ان هذه الكائنات منها ما يُعرَف قبل حدوثهِ وهو ما بُني على

شرائع طبيعية وحركات مطّردة كمبادئ الفصول وطول الايام والليالي ومواقيت الكسوف والخسوف وحدوث المدّ والجزر وتساقط الشهب وظهور بعض المذنَّبات وغير ذلك من الاحوال المتعاقبة على اوقاتٍ مقدَّرة وهذا ولا شك اصل ما وقع الانبآء بهِ للمتقدمين على اثر المراقبات الطويلة والحسبان المدققة وهو من العلم الصحيح الذي لا ريب في صدقهِ لرجوعهِ الى سنن مطّردة واقيسة لا تتخلف . ومنها ما لا يصحّ الانبآء بهِ ولا دليل عليهِ قبل حدوثهِ كهبوب الرياح ونشء الغيم والمطر وحصول الخصب والجدب وغير ذلك من الحوادث الفجآئية أو التي جُهلت اسبابها وهذه لا تدخل تحت قاعدة ولا تعنو لضابط وانما دخلت في التنجيم من طريق التمويه والمخرقة ووردت على اثر تلك فقسد بها هذا العلم وغلبت فيهِ الخرافات والاباطيل . وذلك انهُ لما صدق اهل هذا الشأن في الانبآء ببعض الحوادث الدائرة مما مرّ ذكرهُ وقع في اعتقاد الاغرار والعوامّ ومن لم يكن على بيّنةٍ من سريرة الامر انهم قد استولوا على مفاتيح الغيب وفُتِحت لهم صُحُف المستقبل فكانوا اذا عرض لهم استطلاع امرٍ مجهول فزعوا بهِ الى المنجم و بذلوا لهُ من الرغائب ما يهوّن عليهِ ركوب المخرقة والكذب . ومعلومٌ ان ليس كل احدٍ يأبى لنفسهِ مثل هذه المنزلة مما يكون لهُ عوناً على بلوغ المآرب والاستيلاء على عقائد القلوب ولا سيما ان اكثر الناس اهتماماً بمعرفة المستقبل هم الملوك والعظمآء واصحاب البسطة في الجاه والغنى لما يكتنفهم من الاحوال الخطيرة فكان في ذلك من التقرُّب اليهم ما يجذب باعنّة المطامع وتتطالّ اليهِ اعناق الآمال فاتّسع من ثمّ باب التدليس والشعوذة ولم يبق شيءٌ من الكائنات

الكلية او الشخصية من وبآء او حرب او خصب او جدب او سعادة او شقآء او موتٍ او حياة الا سنّوا لهُ حكماً في التنجيم حتى جعلوا لكل مولودٍ برجاً يولد فيهِ ويتسلط على حوادث حياتهِ فتكون باسرها منوطةً بذلك البرج . وتلقَّى الناس منهم هذه الخزعبلات بالتصديق وعمَّت الثقة باقوالهم فكان اكابر الناس واصاغرهم يلجأون اليهم في تعرُّف غيبهم حتى كان لكل ملكٍ منجمهُ ينظر لهُ في الطوالع واحكام النجوم عند كل عزيمةٍ فلا يصدر الا عن قوله وكان كل مولودٍ في البلاط يؤتى لهُ بالمنجم فيستخرج طالعهُ وينظر في مستقبلهِ

ومن الغريب ان التنجيم كان شائعاً حتى بين العلمآء الفلكيين انفسهم من لدن بطليموس صاحب المجسطى على ما مرّ بك من المنقول عنهُ الى كپلر صاحب القواعد المشهورة في احكام حركات السيّارة وكاسيني اول قيم على مرصد باريز وغيرهم ويروى عن كردان الطبيب الرياضي المشهور انهُ استشار النجم في ميقات موتهِ فلما كان اليوم الذي خرج لهُ انقطع عن الطعام حتى مات جوعاً

قيل واول ما ظهر التنجيم في بلاد الكلدان واشتهر الكلدان بهِ دهراً طويلاً حتى كان المنجم قديماً يسمى بالكلداني ثم انتقل التنجيم منهم الى مصر ثم الى اليونان ثم الرومان وانتحلهُ العرب في الاسلام وانتقل معهم الى الاندلس ومن هناك عمّ الغرب كلهُ . وكان قياصرة الرومان يقرّبون المنجمين ويبالغون في اكرامهم والاحتفآء بهم الا انهم ربما اوقعوا بهم اذا لم يصدقوا في انبآئهم وذلك لاعتقادهم ان كذب الانبآء انما ورد من قِبَل

تخلفهم في مدارك هـذا العلم لا لان العلم باطلٌ في نفسهِ . ويُروى عن طيباريوس انهُ لما نُفي الى رودس طاب جماعةً منهم يستشيرهم فكان اذا انبأوهُ بامرٍ ثم ظهر لهُ ما يدلّ على كذبهم يأمر بهم فيقذفون من اعلى القارَة التي عليهـا منزلهُ الى البحر . وكذلك كان شأنهم مع بعض ملوك فرنسا ومن مضحك ما يُروَى من خزعبلاتهم ودهآئهم ان لويس الحادي عشر وكان شديد الحرص على حياتهِ كثير التطلّع الى المستقبل استشار مرةً منجماً لهُ يقال لهُ غاليوتي في غزوةٍ لهُ ينويها الى بعض الوجوه فانبأهُ نبأً حسناً ولـكنهُ اخفق وفشل فشلاً قبيحاً . فلما عاد دخل على منجمهِ وقال لهُ ايه ايها الاستاذ انك لتقرأ في صحيفة المستقبل فقل لي هل تعلم متى تموت يشير بذلك الى قرب ايقاعهِ بهِ . فقال لهُ المنجم اما ذلك اليوم بعينهِ فلست اعرفهُ ولـكني اعلم يقيناً اني ساموت قبل مولاي الملك بثلاثة ايام فلما سمع الملك ذلك خاف ان يصدق ان قتلهُ فتركهُ

ومن غريب ما نُقل ان واحداً من اولئك المخرقين يقال لهُ يوحنا ستوفلر انبأ بطوفانٍ عامّ يحدث سنة ١٥٢٤ بناءً على ما ظهر لهُ من ان زُحَل والمشتري والمريخ ستقترن في تلك السنة في برج الحوت فذاعت نبوءَتهُ هذه في الاقطار وقلق لها الناس قلقاً عظيماً لان الرجل كان من اشهر علماء اوربا لذلك العهـد ولم يبقَ الا من احتاط لنفسهِ باتخاذ القوارب واعداد القوت وبنى احد الاعيان في طولوز سفينة عظيمة اعدّها لهُ ولاهل بيتهِ واخصآء اخوانهِ وما عندهُ من الحيوان فجعل لكلٍّ موضعاً يأوي اليهِ من الغرق غير ان تلك السنة مرت بجملتها الى آخر شهر فبراير ولم يقع قطرة

مطر . الا انهُ صدق بعد ذلك في نبوءةٍ اخرى وهي انهُ انبأ عن نفسهِ بانهُ سيموت بسقطةٍ فاتفق انهُ بينما كان في بعض الايام في مكتبتهِ يباحث في مسئلة جدلية قام يطلب كتاباً عن رفٍ في المكتبة ليؤيد بهِ حجتهُ فسقط الرفّ على رأسهِ فمات بعد ايام

ورُوي ان الكنت دي بولَنڤيلياي انبأ ڤولتير بانهُ سيموت في الثانية والثلاثين من عمرهِ فكتب ڤولتير في سنة ١٧٥٧ اني مكرت بهِ فغالطتهُ باكثر من ثلاثين سنة ولذلك فاني اسألهُ الصفح . على ان ڤولتير غالطهُ باكثر من ذلك لانهُ مات في سن اربع وثمانين

ولبث امر التنجيم شائعاً في الآفاق الاوربية يؤيدهُ الجهل تارةً ويفضحهُ الكذب اخرى والملوك بين مقرّبٍ لاربابهِ ومنكل بهم الى اواخر القرن السابع عشر ومذ ذاك اخذ امرهُ يضعف شيئاً بعد شيء بانتشار العلم حتى عاد ضرباً من الهزؤ والسخرية ولم يبق لهُ رواج الا عند جماعات من رعاع القوم وأُميّيهم

اما العرب فلم يُحكَ فيما نُقل عنهم انهم كانوا على شيء من هذه الصناعة خلا ما كانوا يقولون بهِ من امر الانوآء والاستدلال بها على المطر وهذا مع كذبهِ على الغالب لا يُعدّ من التنجيم الذي نحن فيهِ لابتنائهِ على شبَهٍ من الادلة الطبيعية لكن جآء في الحديث من صدّق كاهناً او منجماً فقد كفر بما أُنزل على محمد وجآء في حديثٍ آخر من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السحر ولعل هذا انما كان عند ما سُئل عما تفعلهُ الاعاجم من ذلك . على ان التنجيم لم يلبث ان اتصل بالعرب على اثر

اختلاطهم بغيرهم من الامم ودخل دُور الخلفآء وحظي اصحابهُ عندهم . وقد ذكر المسعوديّ فيما رواهُ عن محمد بن عليّ العبديّ الخراسانيّ ان اول خليفةٍ قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم هو المنصور العبّاسيّ وكان عندهُ من المنجمين نوبخت المجوسي وابرهيم الفزاري وعليّ بن عيسى الاسطرلابي . قال وهو اول خليفةٍ تُرجمت لهُ الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وكتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وكتاب المجسطى لبطليموس . . وخرجت هذه الكتب الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها . اه . وشاع هـذا العلم بعد ذلك بين العرب واشتهر فيهم عدّةٌ من المنجمين منهم ابو معشر محمـد بن عمر البلخيّ ومن حديثهِ ما رواهُ ابن خلكان في ترجمتهِ قال رأيت في بعض المجاميع انهُ كان متصلاً بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طلب رجلاً من اتباعهِ واكابر دولتهِ ليعاقبهُ بسبب جريمةٍ صدرت منهُ فاستخفى وعلم ان ابا معشر يدلّ عليهِ بالطرائق التي يستخرج بها الخبايا والاشيآء الكامنة فاراد ان يعمل شيئاً لا يهتدي اليهِ ويبعد عنهُ حسّهُ فاخذ طستاً وجعل فيـهِ دماً وجعل في الدم هاوَن ذهب وقعد على الهاون اياماً . وتطلّب الملك ذلك الرجل وبالغ في التطلّب فلما عجز عنهُ احضر ابا معشر وقال لهُ تعرّفني موضعهُ بما جرت عادتك بهِ فعمل المسئلة التي يستخرج بها الخبايا وسكت زماناً حائراً فقال لهُ الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال ارى شيئاً عجيباً قال وما هو قال ارى الرجل المطلوب على جبلٍ من ذهب والجبل في بحرٍ من دم ولا اعلم في العالم موضعاً من البلاد على هذه الصفة . فقال لهُ اعد نظرك

وغيّر المسئلة وجدّد اخذ الطالع ففعل ثم قال ما اراهُ الا كما ذكرت وهذا شيءٌ ما وقع لي مثلهُ . فلما يئس الملك من القدرة عليهِ بهذا الطريق ايضاً نادى في البلد بالامان للرجل ولمن اخفاهُ واظهر من ذلك ما وثق بهِ فلما اطمأنّ الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسألهُ عن الموضع الذي كان فيهِ فاخبرهُ بما اعتمدهُ فاعجبهُ حسن احتيالهِ في اخفاء نفسهِ ولطافة ابي معشر في استخراجهِ . انتهى

والحكايات في امثال ذلك كثيرةٌ تدلّ على ميل طبع الانسان الى قبول الخرافات والاباطيل بل تدلّ على ان بعض الانسان شيطانٌ مارد وبعضهُ اشبه بالانعام او اضلّ سبيلاً . على ان هذا العلم قد اندرست آثارهُ عندنا فيما اندرس من علوم الاولين وكتبهم ولم يبقَ منهُ الا نُعيَّاتٌ يتناقلها بعض سفلة المشعوذين يحتالون بها على سلب اموال الاغرار وضعفاء العقول وانما كان انقراضهُ عندنا لعموم الجهل لا لانتشار العلم لكن خلفهُ من الزار واشباههِ ما هو انكر وادهى والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء

وسنأتي في الجزء التالي على ذكر طرفٍ من احكام هذا العلم ومزاعم اربابهِ تبصرةً للغافل وتفكهة للبصير

طرق وقاية الاطفال من الاصابة بالداء الزهري

لحضرة الدكتور محمد عشماوي الحكيم مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

قدمنا ان الداء الزُهري هو من الامراض الوراثية اي انهُ يصيب الابناء متى كان الوالدان او احدهما مصاباً بهِ

فالاطفال المولودون من ابوين مصابين بهذا الدآء قد يصابون بهذه الآفة وهم اجنّة وحينئذٍ فاما ان يُسقَطوا قبل تمام الحمل واما ان يستوفوا مدة الحمل فيولدون لتمام ولكنهم على الغالب لا يعيشون الا مدة قصيرة

وقد يولدون اصحآء من الآفات الزهرية ولكنهم بعد مضي الاسبوع الثالث او الرابع من الحياة الهوآئية تبتدئ عندهم الاعراض الزهرية في الظهور وذلك لظهور الطفحات الجلدية المتنوعة والالتهابات الفمية الخبيثة والزكام الزهري المزمن والتقرحات الفمية ولا سيما في الصماغين (اي جانبي الفم مما يلي الشدقين) وغير ذلك من الاعراض الزهرية الثقيلة التي تنهك بنية الطفل وتكون سبباً في اهلاكهِ

الا اننا لا نيأس من تحسن الحالة عند مثل هؤلآء الاطفال متى تولى معالجتهم احد مهرة الاطبآء لان الادوية المنوعة للدآء الزهري عظيمة الفائدة في معالجة الاطفال المولودين من آبآء مصابين بهذا المرض ومتى عولجت هذه الآفات بدقة وانتباه لم يبعد حصول الشفآء ولذا يلزم ان تتبع ارشادات الطبيب المعالج بكل دقة

واما اذا وُلد الطفل من ابوين سليمين فيلزم وقايتهُ من الاصابة بالدآء الزهري بالطرق الآتية

اولاً ينبغي عدم تعريض الاطفال للتقبيل ولا سيما في الفم والخدين اذ الغشآء المخاطي للشفتين سريع الامتصاص لجرثومة الدآء الزهري وكذلك جلد الوجه في هذه السن لما يكون عليهِ من الرقة والنحافة . وافضل واسطة لمنع تقبيل الاطفال ان يكتب على صدورهم او قلانسهم باحرف واضحة

« لا تقبلوا الاولاد » كما انهُ لا ينبغي تعليم الطفل ان يقبل الغير اذ كلا الحالين واحد

ثانياً   اذا أُصيب احد الوالدين بالدآء الزهري بعد ان وُلد لهما طفلٌ سليم فعليهما كذلك ان لا يقبّلاهُ بالكلية وان لا يضعا ايديهما في فمهِ وان كانت الام هي المصابة يلزم ان يُنتخب لهُ مرضعة موافقة او ان يغذى بالصناعة

ثالثاً   لا ينبغي للام ان ترضع طفلا آخر سوى طفلها اذ قد يكون هذا مصاباً و يعديها كما انهُ لا ينبغي للام ان تدفع ابنها الى اخرى ليست معروفة سلامة بنيتها لارضاعهِ اذ قد يكون ذلك سبباً في عدواهُ

رابعاً   اذا اضطر الحال الى ارضاع الطفل من مرضعةٍ اخرى يلزم عند انتخابها ان تكون حائزةً للشروط الصحية القانونية خالية من الامراض المعدية مستكملة شروط النظافة لبنها موافق لسنّ الطفل معلوماً امرها وما في أُسرتها من الامراض الوراثية والا فالافضل تغذيتهُ بالصناعة

خامساً   عند ارضاع الطفل بالصناعة واستعمال الثدي الصناعي لا ينبغي ان يُعار الثدي او حلمتهُ لآخرين واذا وقع ذلك مرةً فلا ينبغي ان يُرضَع منهُ الطفل عند استرجاعهِ مباشرةً بدون استبدال الحلمة واتلافها في الحال كما لا ينبغي ان يستعار ثدي صناعيّ او حلمة مستعملة . وكذلك لا ينبغي ان يسمح لاحدٍ غير معلوم او مشكوك فيهِ ان يضع حلمة الثدي الصناعي في فمهِ بقصد تمرينها او ما شابه ذلك اذ هذا جميعهُ قد يكون سبباً في انتقال العدوى

سادساً   لا ينبغي اعطآء الاطفال موادّ او ادوات غير معلومة نظافتها

يضعونها في افواههم كما لا ينبغي ان يتركوا يلتقطون شيئاً من ذلك حيثما كان اذ قد تكون هذه الاشياء سبباً في انتقال العدوى

سابعاً ينبغي منع الذباب والناموس وما شاكل ذلك من انواع الحشرات أن تتهافت على وجوه الاولاد خوفاً من نقلها لعدوى الداء لان جراثيمهُ تعلق بارجلها متى وقعت على عضو مصاب بهِ او خرقة ملوثة بجرثومتهِ وهي من اسرع ناقلات العدوى بهِ وبالامراض المعدية الاخرى

ثامناً لا ينبغي ان تُسقى الاطفال الماء او المشروبات الاخرى في اوانٍ غير معلومة او مترددٍ عليها كثيرون اذ الماء سيال متصل بالاحياء على العموم وهو صالح لمعيشة جراثيم الامراض المعدية السريعة الانتقال بهِ كما ان من اللازم تعليم الاطفال وتعويدهم ان لا يقدموا على مثل هذه الاواني ويشربوا الماء او سواهُ منها ولا سيما من الاسبلة الموجودة في الطرقات اذ هي من اعظم ناقلات العدوى وينبغي ان يُجعَل للاولاد اوانٍ خصوصية لتناول الماء او سواهُ لا يشرب منها سواهم وتُغسَل اولاً فاولاً

تاسعاً ينبغي ختانة الاطفال او حلق رؤوسهم بمواس جديدة وان كانت مستعملة من قبل يجب احماؤها على النار قبل استعمالها او ان تطهر تطهيراً قانونياً

عاشراً ينبغي منع الاولاد ان يزدحموا على باعة المأكولات وخصوصاً الحلوى وما شاكلها من المأكولات الحشة التي تباع في الاسواق وهي مكشوفة للغبار ومعرضة لتقليب ايدي المشترين

هذا ولا شك ان كثيراً من القوم متى اطلعوا على مقالتنا هذه وما

سبقها وخصوصاً من الفقرآء يقولون نحن قومٌ فقرآء ليس لنا طاقة على القيام بهذه التكاليف لاننا لا نحصل على ما نسدّ بهِ الرمق الا بشق الانفس ونسآؤنا اللاتي عليهنّ القيام باشغال المنازل ليس في طاقتهنّ التفرغ لتادية هذه الواجبات التي تستلزم الانقطاع لخدمة الطفل فضلاً عما يكون عندهنّ من الاولاد الآخرين المحتاجين الى العناية والاهتمام. وهذه كلها امورٌ لا ننكرها عليهم ولكننا نقول ان هذه هي الوسائط اللازمة لتربية الاطفال وحفظ صحتهم ومن ليس في طوقهِ من فقرآء القوم ان يقوم بهذه الاهتمامات كلها فليجتهد على قدر ما تمكنهُ استطاعتهُ فان ما لا يدرك كلهُ لا يترك جلهُ. وعلى الوالدين ان يجعلوا هذه الوصايا نصب اعينهم ويحافظوا عليها بقدر الطاقة ويرسّخوا مضمونها في عقول ابنآئهم حتى يربوا على ملكة النظافة والآداب الصحيحة فالمآء غزيرٌ في مصر وهو أُسّ النظافة والرسائل الاخرى اكثرها متيسر الحصول لا يقتضي نفقة ولا ثمن لهُ الا الانتباه والعناية مع العلم بالواجب. على ان الامر لا يقتصر على الفقرآء بل ان كثيرين من الذين لهم قدرة على تادية هذا العمل مهملون لهُ لعدم وجود من يرشدهم اليهِ. وبعدُ فان الفقر ليس مخصوصاً بمصر ولكنهُ منتشر في العالم كلهِ وها هم فقرآء الاجانب بين ظهرانينا لا نرى في اولادهم ما نرى في اولادنا من القذارة وسوء التربية وتفاقم الآفات والامراض ونكتفي الآن بهذا القدر سائلين الله ان ينير اذهان القوم ويهديهم للتي هي اقوم وسنتبع هذه المقالة بفصل في الارضاع وتغذية الاطفال ان شآء الله وبالله الهداية

— نسآء الشرق —

لحضرة الكاتبة السيدة لبيبة شمعون

لا عجب اذا فاق اهل الغرب اهل الشرق وسبقوهم بمراحل ما دمنا نرى نسآء الشرق اللواتي هنّ حياة الامة وسبب ارتقائها عاكفاتٍ على الكسل والتواني يقضينَ ايامهنّ باللهو والاحاديث الفارغة والمفاخرة بالملابس والحلى لا يهتممنَ بتحصيل العلوم وطلب الارتقآء في درجات الفضائل والكمال ولا ينظرنَ من جميع تمدن الغربيات الا الى تقليدهنّ في بعض العادات والازيآء وخصوصاً المُضرّة منها بالصحة او الآداب ولا تطمح ابصارهنّ من مساعيهنّ الجليلة ونفوسهنّ الكبيرة الا الى طلب المساواة بالرجال في المقام والشرف وسائر الحقوق المدنية . وترى الواحدة منهنّ اذا لبست الزيّ الافرنجي وتعلمت بعض جملٍ من الفرنسوية او الانكليزية تتكلم بها في المجالس حسبت نفسها قد صارت في اعلى مقام من التمدن فترفعت وتعظمت ورأت سائر الناس دونها واصبح الوطني في عينيها صغيراً وصار التكلم بلغة الوطن عندها امراً يوجب الامتهان والانحطاط فاذا كلمتها بالعربية اعرضت انفةً واستكراهاً واذا اضطرت الى التكلم بها مزجت الصواب بالخطأ وربما توقفت احياناً كمن يتذكر امراً منسيًّا وربما ضاق بها الامر فعبرت عن بعض معانيها باللفظ الافرنجي . وهي مع ذلك اذا سألتها عن شيء من الامور العلمية او باحثتها في مسئلة ادبية او تاريخية او غير ذلك مما تحلّت بهِ نسآء الغرب كانت كمن تخاطبهُ بلغةٍ غير لغتهِ فاستولى

عليها البكم ـ ولكن بلا خجل ـ او انقلبت الى الاستهزآء والاستخفاف . . .

على انك اذا نظرت الى نسآء الافرنج وجدت فيهنّ العالمات والاديبات والكاتبات والشاعرات والفقيهات والخطيبات ومنهنّ من انتظمنَ في سلك اصحاب الجرائد السياسية والعلمية وغيرها ومن ألفّنَ الكتب المفيدة في الفنون المختلفة ومن تعاطينَ رصد الكواكب ودرس حركاتها وابعادها ومن تعاطين الطب بفروعهِ وغير ذلك ممـا لحقنَ فيهِ باعاظم الرجال . واذا جالست احداهنّ في مجلسٍ لم تنطق الا بما يدلّ على ادبها وفضلها وحسن تهذيبها واتساع مداركها وما يدلك على انها عارفةٌ بما حولها من الاحوال الطبيعية والاجتماعية لا يغيب عنها شيءٌ من حوادث التاريخ المهمة وسياسة الممالك وطبائع الامم وآدابها وما اشبه هذه الامور ممـا تجدهُ في عالم وتجد نسآءنا في عالم آخر . فلا ريب ان من كنّ على هذه الصفة من التمدن يُحسَبنَ من الاركان المهمة في قيام الحضارة والعمران ويكون وجودهنّ من اعظم الاسباب المؤدية الى نجاح اوطانهنّ لما ينشأ عنهنّ من المثل الصالح والتربية الحسنة لاولادهنّ لان تربية الصغير اساس مستقبلهِ وعليها تترتب احوال حياتهِ جسماً وعقلاً وصحةً وادباً فينشأ عضواً سليماً نافعاً لنفسهِ ولامتهِ متأهباً لان ينال اعلى الدرجات في مراكز المجتمع . وبالنتيجة فانهُ يحق لهنّ ان يطلبن مساواة الرجال لانهنّ قد بلغنَ مساواتهم فعلاً بل الرجال انفسهم يضطرون حينئذٍ ان يرفعوا منزلتهنّ ويساووهنّ بانفسهم لما يرون فيهنّ من الفضائل التي تحملهم على اجلال قدرهنّ عن اعتبار حقيقي لا عن تملق لهنّ او شفقة عليهنّ كما تعامَل الجاهلات فان ذلك يكون في

الحقيقة هو عين الاحتقار والهوان

ولذلك كان من الواجب على السيدات عندنا اذا اردنَ ان يرفعن منزلتهنَّ حقيقةً ويُحسبنَ من الاعضاء المهمة في المجتمع المدني ان يجارينَ الرجال اولاً في فضائلهم الذاتية التي هي سبب الرفعة والاحترام وان يجتهدنَ قبل كل شيء في طلب العلم والانصباب على تحصيلهِ ويكثرن من مطالعة الكتب العلمية والادبية والتاريخية واشباهها تغذيةً لعقولهنَّ وتوسيعاً لمعارفهنَّ واللواتي تعلمن شيئاً في المدارس من اللغات ومبادئ العلوم ينبغي ان لا يكتفينَ بهِ ويتوقفنَ عندهُ بل يجب ان يتخذنهُ واسطةً لتكثير معارفهنَّ وتنمية مداركهنَّ ويجعلنهُ وسيلةً الى تحسين اخلاقهنَّ وعاداتهنَّ وسآئر آدابهنَّ ومرآةً تمثل لهنَّ حقيقة التمدن الذي بهِ يرتفع مقامهنَّ اذ يعلمنَ ان التمدن لا يقوم بالزيّ الخارجي ولا بالتكلم باللغات الافرنجية وان الكمال والعلم معتبران مع التكلم باللسان العربي كما هما معتبران مع التكلم بغيرهِ وان الشرف يقوم بمحافظة كل انسان على لغتهِ وعوائدهِ الا القبيح منها . ولينظرنَ في ذلك الى الاجنبيات اللواتي يأتينَ بلادنا هل يغيّرنَ شيئاً من عوائدهنَّ ولغاتهنَّ مع انهنَّ نزيلات عندنا فقد كان الاولى ان يكنَّ هنَّ التابعات لنا لا بالعكس ولم يكن من المستبعد ان يفعلنَ كذلك لو وجدنا نشرّف لغتنا ونحافظ على اصطلاحاتنا ولكن كيف يتبعننا وهنّ يريننا نتبعهنّ ونقلدهنّ في كل شيء

ولست اخصّ النسآء بذلك ولكن الرجال ايضاً مشاركون لهنّ فيهِ الا انهُ عند النسآء ابلغ واشيع وهو على كل حال راجع الى مقدار العلم

وسعة الادراك لان الامر بجوهره لا بهذه الاعراض الخارجية التي لا دخل لها في التمدن الصحيح ولا تغيّر من اعتبار الشخص الا بمقدار ما تدلّ عليهِ من منزلة عقلهِ واعتبارهِ لحقائق الامور والسلام

مطالعات

سرعة انتقال الشمس ـ وجد المسيو مونك احد الفلكيين في دوبلين بالمقابلة بين حركة الشمس وحركات النجوم المقيدة في زيج بورتر وهي نحو ألفي نجم ان سرعة الشمس تكون بين ١٦ و٢٤ كيلومتراً في الثانية وهي اعظم كثيراً مما قدّرهُ المسيو استروف من كونها بين ٦ و٧ كيلومترات. وعليهِ فالشمس تقطع بنا وببقية السيارات والاقمار وما يتبعها من المذنبات نحو ٢٠ كيلومتراً في الثانية

الجرائد في الولايات المتحدة ـ كان في الولايات المتحدة سنة ١٧٠٠ جريدة واحدة فقط والآن فان فيها من الجرائد ما يزيد على ما في انكلترا وفرنسا وجرمانيا معاً

الاسلاك البرقية في العالم ـ يقدّر طول الاسلاك البرقية الممدودة في انحاء مختلفة من الارض بما لا يقلّ عن خمسة ملايين من الاميال خلا الممدود منها تحت الماء وهو يقدّر بنحو مليون وثماني مئة الف ميل. واما تقسيم هذه الاسلاك فان منها في اوربا ١٫٧٦٥٫٠٠٠ ميل وفي آسيا

٣١١٫٠٠٠ وفي افريقيا ١٠٠٫٠٠٠ وفي استراليا ٢١٨٫٠٠٠ وفي اميركا ٢٥٠٠٫٠٠٠

اكتشاف سيارات جديدة ـ اكتشف المسيو ولف في ١١ و١٢ و١٤ ستمبر الاخير ثلاثة نجيمات جدد من الاجرام الدائرة بين المرّيخ والمشتري

اسئلة واجوبتها

رشيد ـ ما تأويل كذب المنجمون وان صدقوا ومن هم المنجمون وعلى من تدخل ترّهاتهم وهل من منجم يصدق ارجو شرح هذه العبارة بقدر ما تستطيعون اليهِ سبيلاً تنويراً لقومٍ عميت ابصارهم وضلوا عن جادّة الحقّ واتبعوا خطوات الشيطان انهُ كان للانسان عدوًّا مبيناً م*ع

الجواب ـ اما تأويل كذب المنجمون وان صدقوا فالمراد انهم كاذبون في دعواهم معرفة الغيب وان صدق انبآؤهم احياناً لان صِدقهم انما يكون اتفاقاً لا عن علم بما سيكون . واما تعريف المنجمين وحقيقة التنجيم فترون في صدر هذا الجزء مقالةً في هذا المعنى بسطنا الكلام فيها على قدر ما يحتملهُ حال هذه المجلة غير اننا نزيد هنا ان التنجيم ليس فيهِ شيءٌ من عمل الشيطان انما ذاك مما يُتَّهم بهِ اهل السحر والصحيح ان لا هذا ولا ذاك من عمل الشيطان وما الشيطان اذا اعتبرتم الاَّ بعض افراد الانسان

القاهرة ـ جآء في كتاب دروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية (ص ٢١) ان الجملة من قولنا ظننت زيداً قائماً «تنعقد من المفعولين فقط»

لان معناه « زيدٌ قائمٌ على وجه الظن » فلم نعلم كيف تنعقد الجملة « من مفعولين » ولا على اي قاعدةٍ بُني هذا القول . ثم على فرض صحتهِ فما القول في قولنا ظننت وهل هناك جملةٌ ام جملتان وان كان ثمَّ جملتان فكيف تحصل الجملة الاخرى من التأويل المذكور وان لم يكن الا جملةٌ واحدة فان كانت هي المنعقـدة من المفعولين فكيف نُخرج قولنا ظننت عن ان يكون جملةً وهو لا يخرج عن حدّ الجمل في شيء وان كانت هي المنعقدة من قولنا ظننت فقد خرج المفعولان بعدها عن ان يكونا جملةً . فنرجو ان تفيدونا عن جميع ذلك معزّزاً بالنصوص الواضحة من كلام المتقدمين ولكم الفضل

ع * د

الجواب ـ قد علمتم ان هذا الكتاب تأليف جماعةٍ من اكابر علماء القطر ومشاهيرهم فليس من الاصابة ان نتولى الاجابة عنهم فيما هم احق منا بالاجابة عليه وادرى بنَفَذهِ ولذلك فانا نستأذنهم في احالة هذا السؤال عليهم مع استعدادنا لنشر ما يأتون بهِ ان احبوا والا استأذنّاهم في الاجابة بما يحضرنا والله الهادي

آثار ادبيّة

دائرة المعارف ـ صدر الجزء العاشر من هذا المصنَّف الجليل بعـد توقفهِ بضع سنواتٍ حالت فيها العوائق دون ظهورهِ بما كان من استئثار رحمة الله بواضعهِ الاول الطيب الذكر المعلم بطرس البستاني الشهير ثم ما

طرأ على عقب ذلك من الحِدثان الخصوصية وتبدُّل الاحوال المكانية الى ان قيّض الله لهُ همة حضرة العالم الفاضل سليمان افندي البستاني احد اعلام هذه الأُسرة الكريمة وادناها وشيجةً من المصنف فحسر عن معصم الجدّ لتوفية هذه الخدمة النافعة بالاشتراك مع حضرة الاديبين اللوذعيين نجيب افندي ونسيب افندي البستاني نجلي المغفور لهُ صاحب هذا الاثر الجليل فاصدروا الجزء التاسع منهُ منذ سنواتٍ قلائل ثم اصدروا الآن الجزء العاشر ولا تزال هممهم منصرفةً الى الاتيان على تتمة الكتاب واغناء المكاتب العربية بفوائدهِ الجمّة

وقد تصفحنا هذا الجزء بما يقتضي مثلهُ من التأمل والنظر المليّ فالفيناهُ سفراً جامعاً لشتات الفوائد مستوفياً لأدقّ المباحث العلمية والادبية والتأريخية ولا سيما ما يتعلق منها بالشرق والشرقيين مما لم يوفهِ اصحاب هذه التصانيف من الغربيين حقهُ اهمالاً منهم او تقصيراً على ما هو معلومٌ من شأنهم في كثيرٍ من الشؤون الشرقية وخصوصاً العربية لِما يعترضهم دونها من حائل اللغة وغيرها على ما سنفرد للكلام في بعضهِ محلاً ان شآء الله

ومما يزيد في محاسن هذا الكتاب ما تضمن من الالمام بالاوضاع اللغوية في كثيرٍ من الالفاظ وبيان اشتقاقها ومواردها وتعريب كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية وتزيين العربيّ منها بالتوجيهات العلمية العصرية في كل ما احتمل ذلك من متعلقات الهيئة والعلم الطبيعي والكيميآء وسائر الفروع الرياضية والطب والتشريح والصناعات المختلفة مع ايضاح كثيرٍ من اغراضهِ بالرسوم والاشكال البديعة

فنثني على اولئك الافاضل بما يستحقّ هذا الاهتمام الطويل في خدمة الوطن ونشر العلم بين ذويهِ ونسأل الله ان يأخذ بايديهم في اتمام هذا العمل الكبير ونستدرّ على الشارع فيهِ سحائب الرحمة والرضوان

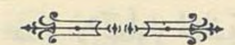
تدوين اللغة العاميّة – وردتنا نسخةٌ من مقالة لحضرة الاستاذ الفاضل الدكتور مرتين هرتمن مدرّس اللغات الشرقية في برلين ينتدب فيها الادباء وارباب الاقلام في الآفاق العربية للاهتمام بجمع الالفاظ العامية وتقييدها تذرّعاً بذلك الى الاستدلال على القبائل العربية التي تعدّت حدود جزيرة العرب قديماً واستولت على ما يجاورها من بلاد الروم والعجم . وهذا ولا شك من المقاصد العلمية الجليلة وقد لا يخلو من دليلٍ تاريخي على ما يتوخاهُ الاستاذ اذ اللغة اصدق مخبرٍ عن اصول الامم وانسابها كما ينبئ عن حضارتها وعلومها واديانها وسائر ما يتعلق بها . وفيما نذكر اننا كنا وقفنا على رسالةٍ في مثل ذلك لحضرة الفاضل حفني افنـدي ناصف تلاها في المجمع الشرقي في استكهلم ضمّنها المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري فردّ كل قومٍ الى عنصرهم من القبائل التي دخلت مصر في زمن الفتح الاسلامي استدلالاً بما بقي في الفاظهم من الاثر المتسلسل الى هذا العهد

بيد اننا لا بد ان نصرّح بان دون الوصول الى هذه الغاية عقباتٍ قد لا تُجاز بالقياس الى حالة البلاد الحاضرة منها انك تجد لكل بلدٍ او قرية بل لكل جانبٍ من البلد الواحد لغةً خاصةً باهلهِ فكان ثَمَّ ما لا يحصى من اللهجات التي لا تتسنى الاحاطة بها الا بأن يتجرد لها من كل مدينة او

من كل ناحيةٍ من يعكف على التقاطها من الافواه وتدوينها في الصحف وهيهات ان يُظفر بمثل ذلك مع ما هو معلوم من حال الامة وتخلفها في اكثر انحاء البلاد حتى في معرفة الكتابة فضلاً عن ان يوجد فيها من يوثق بهِ في صحة التدوين والتمييز بين اللهجات وردّ كل واحدةٍ الى نصابها .
ومنها ان مثل هذا العمل لم يستتبّ في اوربا نفسها مع توفر العلم فيها وامتداده الا بأن بسط أُلو الامر ايديهم للمساعدة فيهِ كما ورد بيانهُ في المقالة المشار اليها فبذلوا لهُ الاموال واقاموا لهُ لجاناً عينوها تحت رعايتهم وتدبيرهم تبثّ الرسائل في الوجوه وتتلقى الاجوبة وترتبها وتطبعها واين في بلادنا من يُتوقع منهُ مثل هذه العناية

على ان الاستاذ وعد في مقالتهِ ان ينتدب لهذا الامر بنفسهِ فيتلقى الرسائل التي تردهُ من الاقطار العربية فيما عساهُ ان يُرسل اليهِ من هذه الفوائد ويرتبها لتُجمَع اخيراً في مؤلف مخصوص وسيطبع في ذلك اسئلةً يبثها في البلاد يضمنها كلماتٍ وجُملاً من الفصيح يطلب مرادفها من العاميّ ويكلف من تُرسل اليهِ ان يدوّن بجانب كل سؤالٍ جوابهُ

فنحن نثني على حضرتهِ ثناءً جميلاً لما بذلهُ من الرغبة والاهتمام في خدمة لغتنا والبحث عن تاريخ سلفنا ونأمل في مواطنينا الاعزاء من كل بلدٍ ان يؤازروهُ في هذا المقصد الحميد العائد شرفهُ عليهم وبالله التوفيق



فكاهات

رواية

عجائب الفراسة (١)

اعتاد اهالي اوربا ان يحيوا ليالي الشتآء بالمخاصرة كما اعتاد غيرهم ان يحيوها بغير ذلك طلباً لقطع ساعاتها الطوال وتذرّعاً الى رياضة ابدانهم وتدفئتها وكثيراً ما يحدث في مثل تلك الليالي من الحوادث النادرة ما يكون جديراً بان يسطَّر على صفحات الاوراق بل ما تُبنى عليهِ الروايات الطويلة وعلى مثل ذلك بُنيت الرواية الآتية

احيا احد وجهآء الفرنسيس ليلةً باهرةً دعا اليها السراة والاعيان واتمّ فيها معدات اللهو والسرور وحضرها كثيرٌ من النزّالة الاجانب في باريز وكان في جملتهم فتًى في مقتبل الشباب من اعرق الأُسر الانكليزية نسباً واعلاها حسباً يقال لهُ وكتور حضر متأبطاً ذراع فتاةٍ في منتهى الجمال يقال لها ماري وهي خطيبتهُ. فلما دخلا تلقاهما اهل المنزل وسائر من هناك من الاصدقآء ورحبوا بهما وكان بين المدعوين كُنتٌ فرنسويّ يسمى الكنت ريمون وهو هَرِمٌ قبيح الصورة شرس الاخلاق سيء الظن عاتٍ متكبر لم تمنعهُ الثمانون سنة التي مرت عليهِ من مصاحبة الشبان وشهود ليالي الرقص . واغرب من ذلك انهُ كان قد تزوّج حديثاً بفتاةٍ لا تتجاوز الثانية والعشرين من العمر رشيقة

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

القوام بارعة الجمال فاصبحت بعد تزوّجها به عرضةً لتقوَلات الناس وأسفهم على ذلك الجمال النادر ان يكون في حوزة مثل ذلك الوحش الضاري وكانت الكُنتة جالسةً على حدةٍ غائصةً في تيـار الافكار باديةً على محياها سمات الغم والقنوط ولسان حالها يقول ليست السعادة في الغنى . . .

ولما دارت المخاصرة على توقيع النغم انقلبت تلك الساحات الى جنةٍ تنوب فيها القدود عن الاغصان او فضآءٍ بهيج تجارى فيهِ الاقمـار وتخللهُ الكواكب . وكان الراقصون كلما تعبوا يخرجون الى حديقة القصر وقد أُعِدَّ لهم هناك مقصفٌ[1] بسطت فيهِ الموائد وصُفّفت الاواني فيتناولون ما شآءوا ويتجاذبون اطراف الحديث . واتفق انهُ لما خرج الجميع الى الحديقة التقت ماري باحدى اترابها فسارتا تتحدثان ورأى وكتور الكنتة جالسةً على مقعدٍ بالقرب منهُ ولا جليس لهـا فدنا منها بقصد مؤانستها واستوى الى جانبها يحادثها ويسليها فاذهب عنها ما كانت فيهِ من الوحشة والفتور وكانت تقابل كلامهُ بعبارات الشكر والابتسام . واتفق حينئذٍ مرور الكنت من هناك وهو يبحث عن زوجتهِ بين الحضور وكان لشدّة غيرتهِ عليها قد حظر عليها مكالمة ايّ احدٍ من الناس الا باذنهِ فلما رأى وكتور الى جانبهـا ولا ثالث معهما وهي تحادثهُ وتبتسم لحديثهِ التهب من الغيظ والحنق ولمعت عيناهُ الصغيرتان من تحت حاجبيهِ الكثيفين وظهرت عليـهِ علائم الشراسة وفظاظة الطباع ثم دنا من الكنتة وقال لها هلمي بنا للانصراف في هذه الدقيقة والا . . . ومنعهُ الحنق عن تتمة الكلام فاشار اليها ان

(١) اسم مكان من القصوف وهو الاقامة في الاكل والشرب تعريب Buffet

تتبعهُ فلبّت مطيعةً وتبعتهُ الى باب الحديقة فاستدعى عربتهُ فلما حضرت امسك زوجتهُ بذراعها ودفعها بعنفٍ الى داخل العربة فسقطت متألمةً واستخرطت في البكاء ثم دخل وراءها وامر الحوذيّ ان يسرع بهما الى البيت

وكان وكتور يراقب ما يجري بينهما وقد لاحظ ارتعاد الكنتة وامتقاع لونها وغيظ الكنت واربداد وجههِ وخاف ان يأول الامر الى ما لا تُحمد عقباهُ ويكون هو السبب فيهِ فشقّ عليهِ ذلك جدًّا وجعل يلوم نفسهُ على تعرُّضهِ للكنتة وجلس حينـاً وهو يتفكر في الامر ثم نهض بسرعةٍ وقد خطر لهُ انهُ ربما بلغت الغيرة من الكنت ان يفعل بزوجتهِ مكروهاً ورأى انهُ يكون من الجبانة ان يترك ذلك الملَك الطاهر عرضةً لتهمة الكنت وانتقامهِ وفي امكانهِ ان يبرّئها عندهُ وينفي لهُ ما قد يكون توهمهُ فيها من السوء . وللحال صمم على ان يتبعهما الى البيت ويبين للكنت سبب محادثتهِ للكنتة ويعيد عليهِ نفس الحديث الذي كلمها بهِ وفي اسرع من طرفة عين خرج من الحديقة فركب عربةً وامر الحوذيّ ان يُلهب ظهر الجواد بسوطهِ ويتبع العربة السائرة امامهُ . ولما بلغ الكنت البيت ترجل وهو قابض على ذراع زوجتهِ يدفعها امامهُ الى ان دخلا البيت فاوصلها الى غرفتهـا وتركها ملقاةً على سريرها وخرج الى غرفةٍ ثانية ليحضر مسدَّسهُ بقصد ان يقتلها او ان يهدّدها ليحملها على الاقرار . وكان حال دخول الكنت والكنتة ان وكتور وصل الى المنزل فبرز لهُ البوّاب وسألهُ عن حاجتهِ فقال لهُ هل لك ان تُدخلني الى جانب غرفة الكنتة بدون ان يعلم بي احد واُقسم لك اني لا اريد بهما سوءًا وليس مرادي الآن افاجئهما بامرٍ يسرّهما ثم اخرج من

جيبهِ قبصة من الدنانير فوضعها في يد البوّاب فبرقت اسرّة البوّاب ووعدهُ باجابة مبتغاه ثم اتاهُ بحذاءٍ من المطّاط فالبسهُ اياهُ وقال لهُ اتبعني فسار وكتور وراءهُ في دهليز مظلم ثم ارتقى بهِ سلماً طويلاً افضى منهُ الى بهوٍ فسيح ثم الى باب قد أُرسلت عليهِ الستائر الفاخرة فهمس في اذنهِ ان هذه هي غرفة الكنتة ثم تركهُ هناك وانقلب راجعاً

واقترب وكتور من الباب وازاح الستارة قليلاً فاذا الكنتة ملقاة على سريرها تمزّق صدرها التنهدات ثم ما لبث ان سمع صوت بابٍ قد فُتح بعنف واذا بالكنت داخلٌ من بابٍ آخر وقد ازداد وجههُ اكفهراراً ومنظرهُ شراسةً وبيدهِ مسدَّسهُ موجهاً الى صدر الكنتة فلم يتمالك وكتور نفسهُ عند هذا المنظر أن وثب الى امام الكنت فقبض على ذراعهِ بيدٍ من حديد وقال تأنَّ يا سيدي الكنت قبل ان تسفك دماً بريئاً . فازداد الكنت حنقاً والتهاباً وصاح بهِ بصوتٍ اجشّ وقد خنقهُ الغيظ أَوَالى هنا بلغت منك الجسارة ايها الوغد الزنيم فدونك واطلق عليهِ النار. الا ان وكتور كان لا يزال قابضاً على ذراعهِ فاندفعت الرصاصة الى جهة السقف وارتزّت في الحائط ثم اخذ الاثنان في عراكٍ شديد انطلقت في اثنآئهِ رصاصةٌ ثانية فدخلت في الارض وثالثة فاصابت صدر الكنت فسقط على الارض وليس عليهِ من علائم الحياة الا الدم المتدفق من صدرهِ . فلما رأى وكتور ذلك وقف كالمبهوت وصاحت بهِ الكنتة الويل لك ايها القاتل ماذا فعلت . ثم قالت لهُ انا اعلم ان ذلك لم يكن برضاك فدونك الباب واسرع في الهرب قبل ان تصل الخدم ويتبعها الجند

اما وكتور فلبث واقفاً كالصنم ويداهُ منضمتان الى صدرهِ وهو يفكر فيما حدث مما لم يكن ليخطر لهُ ببال وقد صمّت اذناهُ عن سماع ابتهالات الكنتة اليهِ في الخروج فلم يفق الا وقد قرع سمعهُ وقع اقدام كثيرة وصوت قائلٍ يقول لهُ باسم امبراطور فرنسا وامر حكومتها التي عليك القبض . ثم تقدم اربعة من الجند فشدّوا وثاقهُ وحملوهُ الى الفسحة الخارجية وبقي اثنان يحرسان الجثة ريثما يفد الطبيب . وبعد ساعةٍ حضر الطبيب ورئيس الشحنة واعوانهما وفحصوا صدر الكنت ثم نقلوهُ الى غرفتهِ ووسدوهُ سريرهُ وجلس الطبيب يعالجهُ بما اوتي من المهارة في صناعتهِ وتوجه الباقون لسماع اقرار الكنتة والمجرم . فقالت الكنتة انها لم تعلم شيئاً مما جرى بينهما سوى ماسمعت من صوت اطلاق الرصاص . وسئل وكتور فقال انهُ بريءٌ من تلك الجريمة وانهُ لم يدخل ذلك المنزل لسرقةٍ ولا لفتك . وجهد المستنطقون في زيادة الاستيضاح منهُ عما حدث فلم يعد يفوه ببنت شفة وآخر الامر ساقوهُ الى السجن وبقيت الكنتة في غرفتها تحت المراقبة . وضمد الطبيب جراحة الكنت وجرَّعهُ منوماً فنام واستولى على ذلك المنزل السكوت

اما ماري فلما فصلت عن صديقتها عادت الى حيث غادرت وكتور فلم تجدهُ وبحثت عنهُ فلم تقف لهُ على اثر فركبت عربةً وسارت الى منزلهِ وسألت عنهُ فقيل لها انهُ لم يعد فقلقت لذلك اشد القلق وباتت ليلتها لم تذق اجفانها غمضاً

ولما انبثق الصباح رأت احد الخدم عائداً من منزلهِ فدعتهُ وسألتهُ عما انجلى من امر وكتور فاخبرها انهُ بلغهُ ان مولاهُ في السجن الا انهُ لم

يصدق ذلك الخبر ولم يحفل بهِ . فلما سمعت ماري ذلك منهُ وقع عليها وقوع الصاعقة ونهضت لساعتها فانطلقت ناحية السجن ولما بلغتهُ استأذنت الحجاب ودخلت فاذا وكتور جالس الى مائدة وقد اسند رأسهُ بيدهِ والدمع يترقرق من عينيهِ . فلما رآها ستر وجههُ بكفيّهِ وقال لها اذهبي عني ايها الملاك الطاهر فاني لست اهلاً لأن تقتربي مني بعد . فزاد ذلك في قلق ماري واضطرابها لانها لم تعلم شيئاً من امرهِ والقت بنفسها على صدرهِ وجعلت تخفّض عليهِ وتلحّ في الاستخبار عن سبب وصولهِ الى ذلك المكان . وبعد شديد الالحاح اخبرها بكل ما حدث وسألها كتمان الامر حرصاً على عرض الكنتة ان تتهم بسوء لان الذي اشتهر عنهُ انهُ انما فعل ذلك لعداوةٍ بينهُ وبين الكنت ليس الاّ . فالحّت عليهِ بوجوب الافصاح عن حقيقة الواقع دفعاً لغائلة التهمة عن نفسهِ فابى اشد الإبآء وقال اني اسلّم امري الى الله فان قدّر لي سبيلاً الى النجاة والا فخيرٌ لي ان اموت من ان اكون سبباً في ثلب عرضٍ مصون

وان الطبيب لبث كل ذلك الليل بالقرب من سرير الكنت يتولى بنفسهِ تجريعهُ الادوية المسكّنة وسائر العلاجات المقتضاة وقد تبين لهُ من حالتهِ انهُ ولو عاش اياماً فلا بد من ان يموت بسبب ذلك الجرح لان الرصاصة اصابت مقتلاً من صدرهِ واتلفت آلات الصوت فكان حيناً بعد حين يغيب عن الوجود واذا افاق لا يقوى على النطق ولا الحركة . ولما كان منتصف اليوم التالي خرج الطبيب في بعض شؤونهِ فصادف في جوار المنزل راهبة من الممرّضات المعروفات بأخوات المحبة فعرض عليها الاهتمام

بتمريض الكنت في اوقات غيابهِ على اجرٍ تتناولهُ من الحكومة فاجابت الى ذلك فادخلها الى عرفة الكنت واطلعها على انواع الادوية واوقات استعمالها ثم تركها هناك وخرج . فجلست تلك الاخت الى جانب السرير وكانت تتعاطى امر العلاج على حسب ما رسم لها الطبيب وفي اثناء ذلك اخذت تفحص بنفسها محل الجرح فكشفت عن صدر الجريح ونظرت الى محل دخول الرصاصة ثم بحثت عن الموضع الذي كان ينبغي ان تخرج منهُ وكان الطبيب قد قرّر ان الرصاصة لم تزل في الصدر وحالة العليل تمنع من اخراجها . فبينما هي تبحث وتستقصي اذ شعرت بنتوء في الجانب الايسر ثم ظهر لها ان قسماً من الرصاصة بارزٌ من الجلد فاخذت تضغط من حولها حتى خرجت فتناولتها ولفّتها في منديلها ووضعتها في جيبها وتململ العليل من الالم فجرعتهُ شيئاً من الدواء فنام نوماً هادئاً . وكانت تخرج حيناً بعد حين تمشي في الدار وتتفقد الغرف حتى عرفت غرفة الكنتة فدخلتها وكانت الغرفة خالية فوقفت في وسطها تتأمل بعينها النقّادة وتنظر كيف حدث ذلك الحادث الهائل . ثم توجهت الى الباب الذي دخل منهُ وكتور ووقفت في موقفهِ وتمثلت دخول الكنت من الباب المقابل واطلاقهُ الرصاصة الاولى فقدّرت انهُ لا بد ان يكون لها اثرٌ بالقرب من الباب الذي دخل منهُ وكتور فاقبلت تفحص حواليهِ حتى رأت الرصاصة داخل الحائط . ولما تحقق لها ذلك عادت لفحص مكان الرصاصة الثانية وبعد التنقيب في ارض الغرفة ظهر لها خرقٌ في البساط علمت انهُ محل الرصاصة ورأت بجانب الخرق قطعةً من المطاط المُحرَق فاستوعبت هذه الامور كلها وقد علمت انها

كشفت الجانب الاعظم من سرّ المسئلة

واجتهدت النزّالة الانكليزية وسفيرها في تبرئة ساحة وكتور وتبرع اشهر المحامين في الدفاع عنهُ فلم يجدِ ذلك نفعاً لان الدلائل كانت كلها متضافرة على اتّهامهِ وعلى الخصوص سكوتهُ التام وعدم نطقهِ بكلمةٍ تدل على برآءتهِ لانهُ لم يزد على قولهِ الاول انهُ ليس هو القاتل . وعلى ذلك حكموا عليهِ بالقتل حكماً باتًّا الا اذا افاق الكنت ونطق بما يبرّئهُ ولذلك اجلّوا انفاذ الحكم الى ما بعد وفاة الكنت ورسموا للطبيب ان يتعهد الكنت بالانتباه الدقيق لعلهُ يتمكن من سماع كلمةٍ منهُ او الشعور باشارةٍ يستفاد منها شيءٌ في الكشف عن سرّ هذه الجريمة . فجهد الطبيب في ذلك بما أُوتي من الحذق والمهارة واوصى الراهبة اذا غاب ان تنتبه لكل حركة تصدر من الكنت في اثناء غيابهِ

وبعد ان اتى على الحادثة المذكورة ثمانية ايام كانت الراهبة جالسةً بجانب سرير الكنت وقد انتصف الليل فسمعتهُ يتكلم بالفاظٍ متقطعة فاصغت اليهِ فاذا هو يقول « الويل لي ماذا فعلت . . لمَ ظننت السوء بهذا الفتى ولمَ قتلتهُ . . اني بعدلٍ اموت بعدهُ لاني سفكت دماً زكيًّا . . وانتِ يا زوجتي العزيزة اصفحي عن جرمي . . انكِ بلا ريبٍ تتجافين عن اخذ يدي . . وانكِ بحقٍّ تفعلين . . ان يدي اثيمة ملطخة بالدماء . . . آه ايها الموت لمَ لم تعاجلني قبل ان ارتكبت هذه الفعلة الفظيعة . . . . . » ثم غاب ثانيةً عن الوجود وجلست الراهبة تردد في نفسها ما سمعتهُ حتى لا يذهب منهُ شيء واخذت قرطاساً وسطّرت ما قالهُ الكنت حرفاً حرفاً

ولما كان الصباح جآء الطبيب على عادتهِ فلما وصل الى سرير العليل وجدهُ جثةً هامدة فرفع الامر الى مقام القضآء وعند انتصاف النهار قرّر انفاذ الحكم على وكتور فسيق الى محلّ القوَد وطار الخبر في اطراف البلد فاجتمع هناك جمهور كبير من مواطنيهِ وغيرهم . وعند ما دنت الساعة الرهيبة وهمّوا باطلاق الرصاص اذا براهبة تسعى بخطوات متثاقلة حتى بلغت موقف القاضي واسرّت اليهِ كلاماً كانها تستأذنهُ في مخاطبة الجمهور بامرٍ ذي بال . و بعد عدة مراجعاتٍ بينه وبينها رقيت مكاناً مرتفعاً وادارت نظرها في الحشد ثم كلمتهم بصوتٍ كان لهُ في افئدة الواقفين اعظم وقعٍ فقالت

« قد علمتم ايها السادة ان الساعة التي فيها تفارق النفس هذا الجسد الترابي لتلحق ببارئها لهي ارهب ساعةٍ ترتجف لها الابدان وابلغ عظة تعتبر بها النفوس وان العدل لما امر الله بالتزامهِ واوجبهُ على الحاكم والمحكوم. غير ان لي في الخطب الذي اجتمعتم لاجلهِ كلاماً اسألكم ان تصغوا اليهِ واسأل الله ان ينطقني بحجة الحق ويحقن على يدي دم هذا البريء

« ان الذي ثبت للقضآء ان القاتل للكنت هو هذا المتهم المسكين ولكن الذي علمتهُ بعد التحقيق العياني والشواهد الناطقة ان القاتل هو الكنت نفسهُ ولكن سكوت المتهم عن تبرئة نفسهِ وتعذُّر الكلام على الكنت هما اللذان اديّا الى ثبوت هذه التهمة ومن فحص مكان الحادثة وعاين مواقع الرصاص من جدار الغرفة وارضها ومن جسم الكنت تبين لهُ الامر بما لا يحتمل ادنى ريب . ثم التفتت الى القضاة وقالت لهم تعلمون اني كنت هذه المدة كلها ملازمةً للكنت في تمريضهِ وقد تأتى لي في اثنآئها ان

الفحص الامر حق فحصهِ وشخّصت الواقعة بنفسي فوقفت موقف المتهم اذ دخل من الباب الشمالي ثم تمثلت موقف الكنت اذ دخل من الباب الجنوبي فوجدت الرصاصة الاولى قد وقعت في الحائط الشمالي اي ورآء المتهم فهي اذن ولا ريب قد انطلقت من يد الكنت . ثم وجدت اثر الرصاصة الثانية في ارض الغرفة وقد اخذت في طريقها قسماً من حذاء المطاط الذي كان في رجل المتهم وهذا ايضاً يدل دلالة واضحة على ان الطلق كان موجهاً الى المتهم لا منهُ . واما الثالثة وهي التي اصابت الكنت فانها دخلت من جانب الصدر الايمن ونفذت من جانب الظهر الايسر فلو كان المتهم هو الفاعل لكان ذهابها على العكس كما يظهر بالتأمل . وبقي هناك امران اخفيتهما عن طبيبهِ احدهما اني استدللت على محل خروج الرصاصة التي كانت في صدره واستخرجتها وهي محفوظة معي فلكم ان تقايسوها على مسدَّس الكنت فان وافقتهُ ترجَّح انها منهُ . والثاني وهو الامر الأهمّ اني ليلة وفاتهِ سمعت منهُ كلمات يخافت بها فكتبتها في هذه الرقعة ثم اخرجت الرقعة فتلتها عليهم ولما فرغت من تلاوتها قالت واني احمد الله على ان اقدرني على كشف سريرة هذا الامر واتم بعد ذلك وما تفعلون »

فلما انتهت من كلامها ماج الحاضرون ونهض السفير الانكليزي فطلب من القضاة تحقيق الامر وتوجه مع القضاة والراهبة الى منزل الكنت وبعد الفحص المدقق ومعاينة الاماكن التي اشارت اليها وجدوا الامر على ما قالت واخذوا الرصاصة فقايسوها على المسدَّس فكانت على وفقهِ واثبتوا ان المسدَّس كان للكنت لانهم وجدوا عليهِ حرفي اسمهِ فلم يبقَ عندهم شبهةٌ

في براءة وكتور وان القتل كان من فعل السكنت نفسهِ

وكان المتهم والحضور ينتظرون عودة السفير ورجال المجلس ولما عادوا قرّروا براءة وكتور واطلقوا سراحهُ وانتشر ذكر هذه الحادثة في كل نادٍ من اندية باريس فكان ما فعلتهُ الراهبة محل اعجابٍ لكل من سمع بهِ ولم يبقَ الا من تمنى ان يراها

ولما أُطلق سراح وكتور اقبل اصحابهُ يهنئونهُ ثم استدعاهُ السفير فاخذهُ في عربتهِ والراهبة معهُ حتى انتهى الى مقام السفارة فقام وكتور هناك بواجب شكرهِ وشكرَ الراهبة على ما بذلت من العناية في انقاذهِ والتفت اليها السفير فاثنى عليها ثناءً جميلاً لما ابدتهُ من الحذق ودقة الفكر وما نتج على يديها من الخير في حقن دمٍ بريء ثم قال لها اتأذنين لي ايتها الاخت المكرمة ان اسألكِ من انتِ وما الذي حملك على ما صنعتِ . فقالت اما انا فيكفيني من تعريف نفسي اني ممن فُطروا على اخلاص الحب والمحافظة على الذمام واما الذي حملني على ما صنعت فهو نصرة العدل ودفع الظلم الذي امر الله باجتنابهِ ولذلك تسلحت لهُ بهذا الثوب الذي هو عنوان الخير والصلاح . ثم نظرت الى وكتور وقالت لهُ تفرّس فيَّ هل تعرفني . فلما قالت ذلك تنبه من دهشتهِ وعرف انها خطيبتهُ ماري فصاح أالى هنا بلغ حبكِ يا حياتي ثم وقع على يديها يقبلهما ويغسلهما بدموع الفرح . وبعد ان لبثا ساعةً عند السفير وعرّفاهُ خبرهما خرجا من عندهِ وهما من اسعد الناس حالا وفي ذلك الاسبوع تمّ بينهما عقد القران فعاشا اهنأ عيشة الى ان ادركهما هادم اللذات ومفرّق الجماعات